النخل في العراق

Les palmiers en Mésopotamie

١ً توطئة البحث

فاتي من كتابه هذه المقالة ان ابين للقراء صوره غرس النخل واتمامه والاعتناء به وتلقيحه وجنى ثمره وما ينتفع به وما يتعلق بتجارته فاقول:

٢ً تعرف النخل على ما تصفه العامة والخاصة

ان شجرة التمر تعرف عند العرب بالنخلة وهي نوع من الشجر له جذع قائم طويل قد يبلغ بعض الاحيان ١٢ متراً وتبقى عليه كرانيف السعف فيكون شكله شكل درج ملوي وفي اسفل سعفه الاخضر ليف يشبه شعر الانسان يقي قلبه من شدة البرد او فرط الحرارة.

اما الخاصة او العلماء فقد عرفوا النخل بقولهم شجر من فصيلة الانبتة الوحيدة الفلقة ذات آح وهي تشمل اشجاراً مختلفة القد جذعها بسيط اجرد الا انه ذو كرانيف تنشأ من بعد قطع السعف وفي اعلاه طاقة من السعف الاخضر طويل جداً وخوص يلزم بالجذع اشد اللزم وهو في بعضها على شكل اصابع تنفرج انفراج الريش او تتجزأ الى آخر الجريدة (وهي السعفة اذا جردت من خوصها) فاذا تجزأت اوراق السعفة تسمى الخوص وقد يختلف شكل الخوص بين عريض وضيق وطويل وقصير ومحدد الى غير ذلك.

٣ً ارض النخل

اطيب ارض للنخلة هي ١ً الارض ذات الطينة الحلوة الحمر آ الرخوة ٢ً دونها الحمر آ الملوحة بالرمل ٣ً دونها السود آ ٤ً دونها الرملية البيضة ٥ً دونها الارض التي فيها شيء من الملح الابيض المعروف بالبوطاس وهي التي يسميها العرب الارض السبخة البيضاء اذ يوجد سبخة سود آ ٦ً سبخة سود آ لا تنفع للنخلة شيئاً بل تقتلها قتلاً وعلامة هذه الارض ان تكون رطبة دائماً كانها مبلولة ماء وقد تنمو ايضاً النخلة في هذه الارض اذا عني بها اشد العناية من تسميد وسقي وحرث لكنها لا تنمو كافياً في الارض الصالية وهي الارض التي طينها احمر صلب جداً لا يلينه الماء الا ان النخلة تنمو نمواً عجيباً في الارض الطيبة التي ذكرناها في رأس الاراضي بشرط ان تسقى ما يرويها رياً وتضربها الشمس بحيث تكون بعيدة عن الفيء.

٤ زرع النخلة وغرسها

النخلة قد تنبت من النواة لكن نخلها لا يجيء الا بعد مدة طويلة تكاد تكون ضعفي او ثلاثة اضعاف مدة النخلة الناشئة من التال واذا جاءت النخلة النابتة من النواة فلا تكون مثل امها الاصلية بل تمتاز عنها فيسمى نتاجها «دقلة» وقد تشيص (اي يفسد ثمرها) والنخلة النابتة من النواة تسمى الجمع (بالفتح) والاقال المألوف في غرس النخل ان يؤخذ صغارها وهي المسماة بالتال لا الفسيل لان الفسيل اصغر من التال المهم الا اذا كان صاحب البستان فقير الحال وليس له تال في بستانه ولا يريد ان يصرف مالاً لشراء التال فيقلع الفسيل ويكتفي به عن التال اما التال فيقلعه احد العارفين ويتخذ لذلك الآلة المسماة عند قدماء العرب الفصحاء: المجثات او المجثة ويسمونها اليوم في العراق الهبب (١) وهي المثلة والمخلى عند المولدين من ابناء الناطقين بالضاد.

ولا حاجة الى ان تقلع التالة بعروقها لانها اذا طرحت على حدة مدة شهر لا خوف على موتها بشرط ان تبل لكي لا تيبس عروقها واكثر ما يكون قلعها وغرسها (٢) في ايام الربيع والخريف واذا شتلت في سنتها الاولى ووافق قدوم البرد عليها تلف لفأ محكما بالخلفاء او البردي او اللّيف او سعف النخل او السوس او نحو هذه الانبتة لكي لا تؤثر عليها طوارئ الجو المفرطة.

واذا كان غرسها في ايام الربيع ووافق قدوم الصيف عليها الطخت بالطين حتى يصير لها كالثوب. والبعض الآخرون يلفونها بل قل يقمطونها بالانبتة المذكورة حكما يفعلون بها عند قدوم البرد عليها.

اما الفسيل فانه يقلع ليباع ويباع لكي يأكل قلبه الاولاد الصغار وهذا القلب يسمى الجمار Moelle de palmier واكثر الاولاد اكلاً للجمار هم اليهود ثم المسلمون ثم النصارى وقد يأكله كبار الناس وهو وان يكن لذيذاً للذوق الا انه سيء الهضم والمغبة

واذا عنى الزارع كل العناية بغرس هذا التال ومداراته ومراعاته يثمر بعد سنتين او ثلاث في البصرة ونواحيها وبعد ثلاث او اربع في نواحي العمارة واربع او خمس وما فوق في بغداد وما جاورها ولا حاجة الى القول انه يجب ان يكون معرضا للشمس والا فقد

(١) بهاء مكسورة وباء ساكنة ثم باء مثلثة فارسية في الآخر اي Hip

(٢) والعراقيون يسمون الغرس شتلاً والكلمة مأخوذة من الآرامية

يبقى عشرات من السنين بدون حمل اذا كان قد غرس تحت الاشجار الفنواء .

وقبل ان نتكلم عن كيفية غرس النخل نوصي الفلاح بان يختار من صنف النخلة التي يريد غرسها التالة الحسنة من جانب نخلة اصيلة كثيرة الحمل (الطرح) حسنة الثمرة لان النخل كبني آدم قريب النزوع الى اصله . وان لم يوجد في بستانك أو ولايتك تال حسب مرغوبك فاطلبه من البلاد المشهورة بتمورها لان النخل الغريب متى انتقل من محله وحسنت تربيته يثمر جيداً . واذا بخلت بالدراهم لشراء التال الجيد من بلدك او من غيره فتلك التالة غير الاصيلة التي تغرسها اذا ثمت يوماً تثمر لك ثمرة بخلك وهي الندامة لانك تندم على انك غرست بدون جدوى فلا يجوز لك بعدئذ ان تقول ما قاله احدهم في سابق العهد : « غرسوا فاكلنا نغرس فياكلون » .

واما غرسها فيكون بعد أن تحفر لها في الارض حفرة يختلف عمقها باختلاف كبر التالة وصغرها واما قطر الحفرة فيكون بنسبة كبر التالة والاحسن ان يكون قطرها مترا ثم تاخذ التالة وتشتلها شتلا مستقيما بكل دقة لكي لا تنمو عوجاء واحذر عند دفنها من ان تضع التراب على قلبها لئلا تتأذى او تموت وبعد الشتال (الغرس) تسقيها ماء بدون ان تغرق قلبها والا فان غرق قلبها ماتت . وان لم يساعدك الوقت فاسقها بين يوم ويوم . ولما تغرس التالة اقطع منها السعف الموجود فيها من نصفه ولا تدع سالمة الا سعفات القلب الصغار لئلا تأخذ السعفات الكبار قوتها فتضعف .

اما اذا قطعت فتذهب كل قواها الى السعف الجديد والى العروق المحتاجة اليها وداوم على سقيها مدة شهرين وما فوق الى ان تتأصل عروقها وتصبح قوية جداً .

واذا يبس فيها سعف فاقطعه بلطافة لئلا تهزها وتحركها فتتأذى النخلة من عملك هذا بل اذا اردت قطع السعف اليابس فاستعمل مقص التزبير المعروف بالفرنسوية باسم sécateur مفضلا اياه على استعمال سكين التكريب وهو السكين الذي يعرفه اهل القرى بالكلاب (ويلفظونها على مألوف عادتهم بالجيم الفارسية المثلثة)

واحذر من ان تبقى حول التالة حفرة لئلا يسري منها الى النخلة ما يقتلها من برد شديد او حر لا يطاق من عوارض الجو الفجائية .

ولهذا يجب عليك ان تتعهدها فى غالب الاحيان وتحيطها بالتراب فاذا فعلت ذلك امنت عليها من هبوب الريح الشديدة والعواصف القوية لما تكبر ثم تضع فى الجوة التى تشتمل فيها التالة قدراً وافياً من السماد (وتسميه الاعراب ايضا الدمن او السرقين) وافخر سماد لبغداديين يكون من خثى البقر او بعر الجمال أو بعر وروث الغنم وكل سرقين يتخذ من الدواب ويجب ان تبعد التالة عن التالة مقدار خمسة امتار واذا ابعدتها عشرة او خمسة عشر (١) فقد ضمنت لها حياة الطول وريعاً سريعاً وثمرة حسنة ولهذا تقول النخلة بلسان زراع العراق «ابعد اختى عنى» وخذ حملها منى» وهو مثل مشهور يدلك على انك كلما ابعدت النخلة عن اختها زكت وراعت وقد دلت التجارب على ان النخل المتقارب لا يحمل الاشيئاً زهيداً لان كثرة الحمل (الطرح) ينشأ من عدد العروق اذ ان المتقدمين من علماء الفلاحة يقولون ان كل عرق يزيد فى النخلة يقوم برطل من الرطب واما كثرة العروق فتنشأ : اولاً من رخاوة الارض ولا جرم ان سريان العروق فى الارض الرخوة هو اهون واسهل عليها من سريانه فى الارض الصلبة. ثانياً ينشأ من اروآء النخلة ماء كافياً واعلم انه ما من غرس فى الدنيا يحمل كثرة الماء وتوالى السقى كل يوم مثل النخل سواء كان الماء عذباً أو ملحاً بخلاف باقى الاشجار فان بعضها يضره كثرة الماء وتوالى السقى عليه كل يوم وملوحته ولهذا ترى فى البصرة وما يليها كثرة النخيل وما ذاك الا من كثرة السقى بواسطة المد والجزر مع ان الفلاح قليل العناية به ولا يتعهد سماده ومداراته الا قليلاً وسوف يرى عن قريب فلاح العراق ان الفلاح الاميركى يسبقه فى عمله لمداراته النخل كل المداراة فيجنى من حسن عنايته به كل نفع ويفرح كل الفرح بخلاف فلاحنا العراقى فانه يرى نفسه انه لم يترق عما كان عليه اسلافه فيندم على تهاونه واهماله الاعتناء اللازم بنخله .

واذا نشأت التالة وصارت «نشوة» (٢) يعمد الفلاح الى تكريبها اى الى قطع سعفها او جريدها اليابس اذ لا بد منه. والتكريب بلسان العراقيين هو التشذيب عند الفصحاء وهو ان تقطع من النخلة ما كثر من سعفها وتليد من ليفها بان

(١) واذا باعدوا التالة قدر ١٥ مترا يعتادون زرع ارضه حبوبا مختلفة واشجاراً متنوعة

(٢) وهى بلسان العراقيين ما خرج جذعها من الارض وقاربت الاثمار ويسميها العرب الفصحاء القاعد والفلاء وبعبارة اخرى [النشوة] الفتية من النخل الى ان يكون عمرها نحو ٢٠ سنة ويقال لها كذلك طالما لم ترتفع ارتفاعا عظيما فان ارتفعت كثيرا سموها عيطاً .

تنزع طبقة واحدة من الليف وتقطع سفاً واحداً من السعف الذى كان يغشيه فيبقى منه على النخلة والشذب وهو مابقى من الكرب بعد قطعه من الجذع. واما كثرة حفه والافراط فى قطع سعفه الاخضر فانه يؤذيه كما يؤذى الانسان ان قطع منه عضو او كما يؤذى الانسان اذا بولغ فى حلق راسه واخذ شئ من فروته فهل يمكن ان لا يتأذى وهذا ما يقوله فلاحونا بهذا الخصوص والنخلة شبه بابن آدم وطباعه وخواصه من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها عن اناثها واختصاصها بالاقاح. وان لم تكرب النخلة لا يكون لها جذع بل تكون كتلة من سعف او كراس انسان قد نفش شعره بحيث يصبح منظره مخيفا لكل من يراه وكذلك القول عما حولها من الفسيل والتال لان هذه تضعف امها جداً جداً. فيجب على الفلاح ان لا يربى تحت النخلة صغارا من اولادها بل كلما اخرجت تالاً قلعه لانه كلما اتلف من اولادها اذخر قوة لامها ولهذا ترى اغلب النخل فى العراق ضعيفا قليل الحمل لانك اذا دخلت البساتين ترى حول كل نخلة نشوة من عشر تالات وما فوقها وحول بعضها احياناً ما يقارب الثلاثين من تال وفسيل وهذا اكبر خطاء والخطاء الذى هو اكبر من الاول هو ان العراقيين اتخذوا عادة قبيحة وهى قطع السعف الاخضر من النخل لبيعه او لنسج الحصران الخ. وسنذكر منافع سعفه فى فصل خصوصى. فان الفائدة التى تنتج من ثمن السعف المقطوع لا تساوى ضعف النخلة وهزالها ومن الناس من يقطع من سعف قلبها وهذا امر مضر اشد الضرر لانه اول واسطة لاهلاك النخلة اذ تحت هذا السعف الجمار الذى فى راس النخلة فان اصيب هذا بآفة او بضربة فاس قوية الخ. هلكت النخلة لان الجمار لها بمنزلة الدماغ لراس الانسان فيجب عليك ايها الفلاح ان لا تقطع شيئا من جريدها الا ما مال بنفسه ويدا بالجفاف وسبب تكاثر التال حول الام ناشئ من قلة العناية بالزراعة فى هذه البلاد والتال يباع وينقل الى الديار الغريبة وتباع الواحدة منه بنصف فرنك او اكثر واذا كانت ذات ثمر نادر الوجود فلا يبيعها صاحبها بل يغرسها ويعتنى بها. واما ارباب البساتين الواسعة الكبيرة فاذا طلب احداصدقائهم منهم تالا تكرموا عليه بقدر ما يريده بدون عوض.

٥ - احسن واسطة لتحسين اراضى السبخة للغرس والزرع

احسن طريقة لتحسين اراضى السبخة هى ان تكربها كرباً نعما وذلك ان تمر عليها السكة او الفدان مرتين او ثلاثا فى ابان فيضان المياه فى الربيع ويوضع فيها من السرقين او من اى نوع كان من السماد بقدر ما يمكن ثم اطلق عليها الماء الكدر المعروف عند

العراقيين «بماء الدهلة» وهو الغرين او الغرين الى ان يعلوها نحو نصف متر واتركها على حالتها الى ان يصفو فيحول الماء الصافي الى ارض اخرى بشق جدول صغير يدفعه فيها.

فاذا نشفت الدهلة يطلق الماء عليها ثانية ويتصرف فيها كما تصرف فيها في المرة الاولى فاذا يبست كربت كرباً حسناً مرتين. ويعاد هذا العمل مدة الربيع كلها ان امكن الى ان يأتي الصيف فتشمس لتحميها الشمس بحرارتها المحرقة وتقتل كل ما تولد فيها من الدود المضر بسبب السماد الكثير الذي القي فيها. واذا فعلت ذلك مدة سنتين او ثلاث تزول السبخة وتصبح ارضاً جيدة تربى النخل بنوع يدهش العقول ويحير الالباب (١) واذا اردت ان تزرع في الارض السبخة التي اصلحتها بهذه الطريقة هذا نخلاً فازرع فيها شعيراً بعد السنة الاولى التي اغرقتها بالدهلة وابذر فيها بذراً كثيراً ولا تخشَ ان لم ينبت فيها كثيراً في السنة الاولى لانه ينبت اكثر بل اضعافاً في السنة الثانية وما يليها. واذا داومت على عملك هذا الى السنة الثالثة والرابعة والخامسة فيمكنك بعد ذلك ان تزرع فيها ما شئت وهذا اين دليل على امكان تحسين الارض السبخة وليس كالتجربة بينة قاطعة. اختبر تعجب. والله الموفق.

حنا انطون جرجس

بقايا بني تغلب

Ce que sont devenus les Taghlabites.

١ . مدخل

ليس الغاية من هذه النبذة تحبير مقالة في بني تغلب وتاريخهم منذ نشوئهم الى يومنا هذا. فهذا مع ما يكون فيه من الطول وعر المسلك بل الوصول اليه بمناط العيوق بيدنا تريد بهذه اللمعة ان نوقف القراء على ما صارت اليه هذه القبيلة العظمى بعد الاسلام والاشارة الى انها لم تنقرض الى عهدنا هذا.

٢ . من المراد بالتغالبة هنا

بنو تغلب (وهي بكسر اللام الاان النجديين الخالين يلفظونها بضم اللام وزان تنضب) اسم يقع على قبيلتين: احداهما بطن من قضاعة من القحطانية وهم بنو تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة والمظنون بل المرجح انها

---

(١) وان امكنك ان تكسح او تكشط السبخة الموجودة على وجهها ثم تكربها فهذا احسن من ان تكربها والسبخة فيها بدون كسح او كشط .